

خيانة عسكره وأنة لا يقدر على عدوه طلب الحرب ليفوز بنفسه فقتله رجل كان تحت يده . فزال بذلك دواة الشيخ ظاهر في بركة الشام ومصر . وذلك سنة ١٢٢٦ على أيام السلطان عبد الحميد بعد ما كان الشيخ ظاهر يحكم على البلاد مدة اربعين سنة فقلد السلطان جزار باشا ولاية عكا وصيدا  
« انتهت الرسائلان »

## بيروت

### اخبارها وآثارها

للأب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

بيروت في القسم الاخير من القرن العشرين الى يومنا (١٨٦٠-١٩٢٦)

الباب الثالث : بيروت الادبية (تتمة)

وفي ختام هذا الباب يسرنا ان نذكر انشاء اول مكتبة عمومية في بيروت . كان الساعي الى تحقيق هذا الامر الحظير جناب الفيكت تيليب دي طرازي بعد الحرب الكونية بمساعدة رجال الانتداب الفرنسي لاسيا الجزائر الذين الكبريين غورو وثيسان . وقد تكلف جناب منشي العمل عناء ومشاق كبيرة ليخرج فكره الى حيز الوجود وتجهيم الاسفار الى فرنسا فاسترهب كثيراً من مصنفات علمائها فزان بها هذا المهدي الجديد وقد اصبح البيروتيون مدينين لمانيتيه في هذا المشروع الجزيل الفائدة على ان بيروت لم تخل بعد السنة ١٨٦٠ من مكاتب اخرى خصوصية كان العلماء يمكنهم استرخاض اصحابها لمطالعة كنوزها الادبية تزيد خصوصاً مكتبة الكليتين الاميركية واليسوعية فالاميركية احترت نحو ٢٠٠٠٠ مجلد كان يغلب عليها الكتب

العلمية لاسيما الانكليزية . وكان بينها عدّة كتب عربية من مطبوعات سورية  
ومصر ونحو خمسين كتاباً من المخطوطات العربية

واحدث منها مكتبة كلية القديس يوسف اليسوعية تأسست اولاً في مدرسة  
غزير ثم نقلت الى بيروت سنة ١٨٢٥ . ولم تزل تنمو وتكثّر حتى ضاقت بها خزائنها  
وقسمت الى قسمين قسم غربي وقسم شرقي يحتوي اليوم كل منهما نيفاً وثلاثين الف  
مجلّد هذا فضلاً عن مكتبة اخرى مدرسية ومكتبة هندسية ومكتبة حرقية  
ومكتبة طبية بلغ مجموع كل هذه الكتاب نحو ١١٠٢٠٠٠ مجلّد يضاف اليها ما  
ينيف عن ٣٢٠٠٠ مخطوط في اللغات الشرقية الكلدانية والسريانية والفارسية  
والتركية والارمنية والتبعية والحبشية ولسيا العربية في كل صنف من اصناف العلوم  
الدينية والادبية والتاريخية والطبيعية والرياضية جمعت من كل انحاء الشرق من سورية  
ومصر والراق والعجم والهند

رحلت ايضاً في هذه الحقبة الاخيرة من تاريخ بيروت مكاتب الكُتّيبين  
فكان اولهم المرحوم ابراهيم صادر منشي . المكتبة العمومية سنة ١٨٦٣ ثم تنافس  
التصارى والسليون في فتح مكاتب اخرى فانشأ الاولون المكتبة الادبية والمدوسية  
والعلمية والجماعة والوطنية وانشأ الآخرون المكتبة الاهلية والانسية والعصرية .  
وكان معظم هذه المكاتب تقتصر على بيع الطبعات الوطنية السورية والحرية  
وقلما تستحضر المطبوعات الشرقية الجليلة المطبوعة في اوربا

### الباب الرابع : بيروت الاقتصادية

ليست مدينة نالها من الرقي الاقتصادي ما نال بيروت من السنة ١٨٦٥ الى عهدنا  
نأن الوسائل المتعددة التي أنشئت في هذه المدّة لتعزيز تجارة بيروت وترويج معاملتها  
مع الداخلية ومع البلاد الاجنبية وتحسين امورها الصحية بلفتها درجة من التقدم لم  
تعرفه في الاجيال السابقة حتى في عز مجدها في عهد الرومان . والفضل في ذلك كما هو  
معلوم الدول الاجنبية ولسيما لفرنسة

الطرق والسكك الحديدية  واول ما سمح لبيروت ان توسع نطاقها الى  
الطريق التي نالت شركة افرنسية سنة ١٨٥٢ الرخصة بفتحها بين بيروت ودمشق وقد

نجزت بنشاط وهئة المسويدي برتوي (M. de Perthuis) سنة ١٨٦٣ فكانت عربات الشركة تقطع تلك المسافة كل يوم باثنتي عشرة ساعة فاحسبت بيروت فرضة دمشق. وهذه الطريق بمد اصلاحها لا تزال الكارئات تنقل عليها البضائع وتقطعها العربات ذهاباً واياباً واليوم أصبحت عر السيارت والاورتومبيلات التي بثلك - اعاجت تقطع تلك المسافة الباقية ١١٠ كيلومترا

على ان تلك الطريق مع فوائدها الجمة لم تكن لتفي بمجايات التجارة . حتى تألفت شركة أخرى عثمانية بالاسم فرنسية بالفعل فباشرت بالسكة الحديدية في اواخر سنة ١٨٩٢ بين بيروت ودمشق ثم دُشنت في شهر آب سنة ١٨٩٥. وهذه الطريق ضيقة الاسلاك مسننة يبلغ طولها ١٤٠ كيلومتراً وتبلغ الى ١٤٨٦ متراً في اعالي لبنان وقد أدت لبيروت خدماً لا تحصى لاسيما اذ اتصلت بسكة دمشق الى مزيريب وحموران التي كانت نجزت سنة ١٨٩١ ثم اتصلت بسكة رباق الى حماة وحلب (١٩٠٢-١٩٠٦) وبسكة الحجاز وفرعها الى حيفا

ثم فتحت عدة طرق للمجلات في لبنان في سواحله واعطافه اتصلت كلها ببيروت فزاد بذلك نفوذها وخصراً لما أُنشئت طريق الترامواي سنة ١٨٩٨ بينها وبين الماملتين . والامل مقود بان تتدعه الترامواي الى طرابلس شمالاً والى صيدا جنوباً بل تتصل بسكة حيفا فتصبح بيروت على قاب قوسين من فلسطين ومصر وفي الوقت عينه نالت شركة بلجيكية تسيير عجلات الترامواي في انحاء المدينة فقربت المسافات بين اطراف البلد حيث تسيير من نهر بيروت الى المنارة ومن فون الشباك والبسطة الى نواحي البحر . فزاد بذلك عدد المائلين من لبنان فيستوطنون بيروت او يترددون اليها

﴿المرقا﴾ وكذا ان بيروت مدينة لفرنسة بانشاء الطرق المتصلة بها كذلك يعود الى فرنسة الفضل بفتح مرافها الرابع . فان المرحوم يوسف بك مطران باع من شركة طريق الشام الفرنسية الرخصة التي نالها لذلك بفرمان الدولة التركية سنة ١٨٨٧ فتألفت لجنة لمباشرة العمل برأس مال يبلغ خمسة ملايين فرنك فابتدأوا بالعمل سنة ١٨٨٩ جرياً على رسم المهندس غاريتا (M. Garetta) وقد تم فقط في السنة ١٨٩٥ لا لقيته الشركة من العوائق من جهة تركية وعمالها . وسعة المرقا تبلغ ٢٦ هكتاراً وعمقه من

تالية امتار الى ١٢ مترًا في وسطه ومن ٣ الى ٥ امتار قريباً من الرصيف . فيسكن كبار السفن ان تدخل وسطه لكنها لا تستطيع ان تفرغ الـملع توتاً على الرصيف . وبقيت الشركة عدة سنين لا تربح من واردات المرفأ ، ما كانت تؤملها لارتفاع التكلفة المفروضة على المراكب الراسية فيه . ثم تحسنت امرورها وزاد اقبال الشركات التجارية على الرسو في المرفأ . وبعد ان خمدت حركته في أيام الحرب عاد اليوم الى نهضة جديدة حتى سئت الحاجة الى توسيمه والشركة حاضراً تهمم بذلك ولا يلبث المرفأ ان يجاري اكبر مرافئ البحر المتوسط . واه في رأس بيروت مشاركة جميلة بناها سنة ١٨٦٢ مهندسون فرنسيون

تجر مياه نهر الكلب كانت بيروت تستقي مياهها من آبارها الراسية التي اليها ينسب اسمها ولا تزال آثارها باقية حتى عهدنا . إلا ان تلك الآبار مع وفرتها لم تكن لتكفي لحاجات المدينة من شرب ونظافة وسقي جنائن ورش طرقات . ثم ان تلك الآبار المجموعة من الامطار كانت تجري اليها مياه ملوثة بالجرثيم الناسدة التي كانت تنشر بين اهاليها من وقت الى آخر الاوبئة الجارفة من حثيات تيفوئيدية وهيضة وعوا . اصفر وطاعون

وكان اول من فكّر في تروين بيروت بالمياه المهندس الفرنسي المير تقنين (M. Thévenin) فأثب لذلك شركة بدأت باستحضار لوازم العمل سنة ١٨٢٥ وبنا . حواجز واقية عند نهر الكلب على ١٣ كيلو متراً من بيروت وادوات لتصفية المياه ودفعها الى خزّان على مقربة من كنيسة مار متري . وفي السنة ١٨٧٦ خلقتها شركة انكليزية لرعاية هذا العمل واستثماره بعد ان باعه منها المير تقنين . فترأى الانكليزي مرتندال (M. Martindale) تديرها برأس مال بلغ ٣٤٦٢٨٤٨٠٠ فرنك . واخذت توزع المياه على بيروت سنة ١٨٨٤ . فكانت هذه النعمة من اكبر نعم الله على المدينة واهلها فكف عنهم معظم الاوبئة الناشئة . وما مر على الشركة خمس عشرة سنة حتى بلغ ربحها السنوي الخاص ٢٥٠٤٠٠٠ فرنك . ثم زاد على ذلك فوجدت رخصتها عند نهاية معاهدتها . وبعد الحرب اقامت خزّاناً جديداً فوق الاشرفية بحيث تستطيع رفع المياه الى اعلى بيرت بيروت وجباتها

الغاز والكهرباء . ومما زاد في محاسن بيروت انشا . شركة الغاز التي نفت

نوعاً من ظلمات بيروت ثم عتبتها شركة الكهزباء التي جعلت لبيروت حظاً جديداً من الحضارة العصرية

﴿التجارة﴾ ان رقي البلاد المادي يُعرف خصوصاً بتجارها ومن هذا القبيل قد بلغت بيروت مبلغاً لا تجاريها فيه غيرها من مدن الشام منذ السنة ١٨٦٠. فان السفن الاجنبية كلت تنقل اليها كل محصلات الدول الاوروبية ومصنوعات اهلها من كل صنف من اصناف الاعمال والمخترعات الحديثة في ضروب الفنون. وكانت هي من جهتها تُرسل الى انحاء البلاد كل عائدات بلاد الشرق التي كان تجار الداخلبة يرسلونها الى بيروت فتنتقل منها الى البلاد القريبة. وقد سبق ان تجارة بيروت كانت في القسم الاول من القرن التاسع عشر راجت رواجاً كبيراً فبلغت الواردات اليها نحو ٢٠٤٠٠٠٤٠٠٠ من الفرنكات والصادرات منها نحو ١٦٤٠٠٠٤٠٠٠ فما بُني مرفأها ونجزت سكنتها الحديدية حتى بلغت بعد حين ضعف هذه الكمية .

وقد ساعد على هذا النجاح انشاء المصارف (البنوك) في مقدمتها البنك العثماني وبنوك اخرى منها اجنبية ومنها وطنية كانت تُسلف المال للتجار بفائدة معلومة فتسكنهم من توسيع نطاق انشغالها. ثم اخذت عدّة بيوت تجارية وطنية تتوسط لاستحضار السلع الاوروبية بصفة كوميسيونجية

وكذلك حصلت معاملات مع بيوت تجارية في حواضر الدول الاوروبية كانت تبادل محصلات بلادها من محصلات الشرق

وبعد ان خمدت الحركة التجارية في أيام الحرب تحسنت نوعاً بعد وضعها أوزارها. وقد استغادت بيروت خصوصاً من المعرض الذي أُقيم فيها سنة ١٩٢١ حيث ظهرت للعيان اصناف محصلات الوطن مع محصلات البلاد التي تعامل بضرورة. ولولا الازمة لاقتصادية التي تشل حاضراً انحاء المعمور وهبوط سعر الفرنك والفئة الدرزية لكانت بيروت في اوج الحضارة والدليل عليه ان الاحصاء الرسمي في السنة السابقة للحرب ذكر ان الواردات التجارية لسورية بلغت ١٢٥٤٠٠٠٤٠٠٠ فرنك والصادرات ٦٠٤٠٠٠٤٠٠٠ أما في السنة ١٩٢٠ بعد الحرب فازدادت الواردات الى ٢٦٩٤٠٠٠٤٠٠٠ ف والصادرات ٨٠٤٠٠٠٤٠٠٠ ولنا على ذلك شاهد في حركة مرفأ بيروت الدالة على نجاح متواصل وازدهار رافعة حتى في السنة الحاضرة

﴿ الصناعة والزراعة ﴾ استفادت الصناعة في بيروت بما اتاهها في هذه السنين الاخيرة من الادوات الارربية ومن محصرلات البلاد. فأُنشئت فيها وفي جوارها معامل الحرير التي اخذت تسمير في تحليل الحرير على اسلوب الفرنج ومثابها الحياكة والتطريز للنسوجات وقد كان للطرائق الارربية تأثير عسوس في صناعة هذه الانسجة لاسيا بواسطة راهبات المحبة اليراني انشان معلهن سنة ١٨٦٢ فبلغن من استحضار نحو ٥٠٠ متر من الانسجة الحريرية البسيطة او الملوقة وكذلك اشغال الخروجة والدانتلات اُتمت في بيروت حتى بلغ ما أرسل منها الى اميركة قبل الحرب ما يساوي ٢٠٠٠٠٠٠ ليرة

وأُنشئت ايضاً معامل لاثات البيوت واجهزتها الفاخرة اخذوها في بيروت محل الخواجا ترزي ومعمل الخواجا الياس السيوفي الذي استحضر لذلك الادوات المخترعة في اورببة واميركة

ودخلت بيروت معامل أخرى مستحدثة على الاساليب الارربية كالطاحن البخارية وكامامل الجليد الاحطناعي وممامل افانف التبغ والمامل الفخارية وتجددت كذلك السكافة والحدادة والنحاسة وتوفرت فيها الدراجات والسيارات والاورتومبيلات وكذلك اشتمل اصحاب البناء في بيروت بكل لوازم هذا الفن من انشا. مقالع واستحضار ضروب الحجارة الوطنية والاجنبية رحقل الرخام ونقش وصنع الكلس والترسيد ولنا عدة آثار بنايئة تشهد لاهلها بحسن الذوق وصواب النظر لتطبيقها على المظاهر الجوية من حرارة وبرودة ومهب الرياح ومناظر بهجة بينها قصور فخة ودور اسرا. وبنابات. شرقية الهندسة كساعة بيروت واسواقها الحديثة

وما قولنا عن المطابع فأثما بعد السنة ١٨٦٠ تمددت فاناف عددها على الثلثين كانت في مقدمتها مطبعتا الكاثوليكية والمطبعة الاميركانية مع ما أُلحقت بهما من المطابع الحجرية والادوات لاستحضار الابهات والامهات وللبك الاحرف. وذلك ما جعل لبيروت شهرة واسعة في البلاد بحسن مطبوعاتها وبجمال حرفتها

وكل يعرف اتساع فن التصوير الذي قبل السنة الستين لم يكند يُمرَف له اثر في بيروت واليرم اصبح شائماً حتى ان بعض المجلات تصدر اليوم فيها مصورة باتقان ورتياً عرضت هذه الصور في معاهد السينما

على أن كل هذه الصناعات مع ترقبها لا تزال في احتياج الى مزيد التحسين  
لتجاري المصنوعات الأوروبية

أما الزراعة فإن نصيبها دون نصيب الصناعة في الترتي وان لم تحرم  
منه تماماً. فإن حدائق بيروت وارضها المزروعة قد زادت خصباً بما استمدت من مياه  
نهر الكلب المتي. وكذلك مياه اخرى تجري الى المزرعات من نهر بيروت وبعض  
العيون المجاورة للبلدة. وهذا ما وفر البقول والحبوب في اسواق المدينة

وقد نمت خصوصاً في بيروت وارباضها انواع الاشجار المثمرة قدي وسطياً وحولها  
اصناف الاشجار المثمرة منها الاثمار الوطنية كالليمون والتفاح والاجاص والمشمش  
والدراخن والتين والخرنوب. ومنها اجنبية تأهلت منذ بضع سنوات في تربة بيروت  
بعد ان انتقلت اليها من البلاد الغربية او من اميركة كاللوز والماندارين (يوسف  
افندي) والفستق والتوت الفرنسي (fraises) والايكي دنيا

ومن اشجار بيروت التي تزين سواحلها شجر الزيتون الذي يمتد جنوبها الى  
بضعة اميال ويستخرج منه زيتا الفاخر. وكذلك الكروم التي تظل تلالها ومن عصير  
ثارها الحمر البيرونية التي اشتهرت منذ عهد الرومان  
وعلى رأسها تتأيل اشجار الأثل بسمها المرمرز به الى الظفر. وفي جديتها غابات  
الصنوبر التي تتنني بها قداماء الشعراء.

فمن تمدد اصناف هذه الاشجار ياوح غنى تربة بيروت. لولا ان المزارعين لشوتهم  
على اساليب الحراثة القديمة لا يحصلون على ما يناله ارباب الزراعة في اوربة براعاتهم  
للاصول الفيزية التي وقفوا عليها بالتجربة ودرس احوال التربة واصلاحها

هذا مجمل ما يقال عن بيروت الاقتصادية. ولا شك بان عاصمة لبنان مع  
الامان وانتظام الاحوال وهمة ارباب الاعمال جديرة بان تصبح من اغنى بلاد الله  
وتجاري اكبر المدن بخصبها ورفاهها زادها تعالى رقياً وغزواً وهو السميع المجيب  
(تم)

سنة تليه - اثناً قد عولنا على نشر هذا التاريخ على حدة نضيف اليه التفاهيس الواصلة

